## قراءة وتعليق وترجمة لفقرات من كتاب:

# الفلسفة بمفتاح جديد

## (دراسة في رمزية العقل، الطقس، الفن)[1]

## للفيلسوفة الامريكية، الالمانية الاصل سوزان لانجر

**د. افراح لطفي عد الله**

**أستاذة الفلسفة في كلية الاداب**

**جامعة بغداد**

يحوي كتاب "الفلسفة بمفتاح جديد" لسوزان لانجر على عشرة وحدات وقد اخترت الوحدة الاولى والتي تحمل نفس عنوان الكتاب باسم "الفلسفة بمفتاح جديد" لترجمتها والتعليق عليها وبطريقة تتيح لكلام لانجر بالاسترسال وبتوضيحات من قبل المترجمة اقتضاها النص، وقد وضعت تعليقاتي بين شارحتين لتمييز كلامي عن نصوص لانجر.. وقد اثرت قبل ان ابدا بالموضوع من ان اقدم تعريفا بمحتويات الكتاب بذكري مفاتيحه بلغة لانجر وهي:

1 – الفلسفة بمفتاح جديد

2 – التحويل الرمزي

3 – منطق العلامات والرموز

4 – الاشكال الاستطرادية والعرضية

5 – اللغة

6 – رموز الحياة: جذور الطقس الديني

---

1 منشورات المكتبة الامريكية الجديدة، الطبعة السادسة 1954.

7 – رموز الحياة: جذور الاسطورة
8 – في المعنى في الموسيقى
9 – تكوين المعنى الفني
10 – نسيج المعنى

## الفلسفة بمفتاح جديد

–ان عنوان الكتاب لهو دليل يرشدنا إلى ان المؤلفة قد اكتشفت مفتاح سيفتح باب الفلسفة من منظور جديد، ومن خلال ترجمتي للوحدة الاولى من الكتاب لاحظت ان المؤلفة قد نحتت عدة مفاهيم للوصول إلى هذا المفتاح هذا فضلا عن نحتها لعدة مفاهيم: كالتقنية، الفكرة المولدة، الفكرة الاساسية، الفكرة المفتاح، الافق، النمط، الرمز..

وكانت لانجر قد اشارت في بداية مقالتها الاولى قيد البحث إلى موضوع اساسي وخطير لتحديد الموقف الثقافي للمجتمعات تاريخيا، وهو البنية العميقة التي تشكل الوعي الثقافي للمجتمعات تقول– كل عصر في تاريخ الفلسفة له انشغالاته ومشاكله الخاصة به،... والتي نشأت من اسباب عميقة من النمو الثقافي. –ولعل بحثها هذا في النسق الفكري للمجتمعات هو من اجل ان تعلن المكان الجغرافي لمفهوم التقنيةtechnique الذي نحتته في هذا الكتاب حيث يبدو هذا المفهوم بمثابة فن معالجة المشاكل. ما يعني ان لكل عصر اذن تقنيته الخاصة به أو فنه أو اسلوبه في معالجة المشاكل الخاصة به وهي ما تؤسس عمقه الثقافي والعقلي بما يشبه النسق الفوكوي.

وقد حددت لانجر بدايات التعامل مع هذا المفهوم معلنة ان تقنية المشكلة ومعالجتها انما بدأ مع الصياغة الاولى للسؤال (طبعاً السؤال الفلسفي). وتظهر التقنية في هذا المجال من خلال مخطط يعتمد على مرتكزات السؤال والجواب، حيث يرتكز نمط السؤال على الاستفهام عن الحدود والطرق التي يمكن من خلالها تهيئة جواب ما سواء كان صح ام خطأ. بمعنى اجوبتنا على اسئلة من قبيل، – من صنع ألعالم هي ان الله صنعه، الصدفة صنعته، المحبة والكراهية صنعته، أو ما شئنا من الاجوبة. هي اجوبة قد نكون على صواب أو خطا. –وتشير لانجر في نفس الموضوع إلى اهمية اخذ اسئلة المتسائل على محمل الجد والا سنبدو– غامضين وحاذقين وربما نبدو اننا نرفض السؤال اذا ما اجبنا ان لا احد صنع العالم.

-الامر هو ان المتسائل يمتلك بنية خاصة للتفكير وتوجه عقلي محدد ولديه مقوم للافتراضات حول الاشياء يتفق عليها الحس المشترك، - مثل وجوب ان يصبح كل شيء على ما هو عليه، وكل شيء يمتلك سببا، وكل تغيير يجب ان ينتهي إلى نهاية ما، وان العالم بكل ما فيه قد وجد بواسطة ما خارج المادة الاصلية لسبب ما. ما يعني انه يمتلك نمطا من التفكير يخص عمقه المكاني والزماني وبالتالي ميله التفسيري الذي يجعل أي جواب مخالفا هو بمثابة ضربة قاضية للقيمة الفكرية لسؤاله.

وهذا ان دل على شيء فانه يدل على ان اهمية الجواب تعلو على اهمية السؤال، - لان الجواب من اخرين على سؤال المتسائل يربكه ويجحد كل مقومات فكره. فالسؤال هو قضية غامضة، ومن يزيل الغموض من خلال تحديد السؤال هو الجواب.

فالتعامل الثقافي مع أي معلومة أو تجربة أو موضوع يتحدد بطبيعة أسئلتنا وينفذ من خلال اجوبتنا. واذا كانت عبقرية الفلسفة تكمن في تنظيم المشاكل سواء من قبل مدرسة فلسفية أو حركة فلسفية، أو عصر فلسفي. حيث في ضوءها تنشأ الأنظمة وتتحولrule وتموت. فانه لابد من ان نفهم بان ميزة الفلسفة الاساسية هي قدرتها على صياغة المشكلات اكثر من حلها لها. لانه بالرغم من ان الأجوبة شيدت صرحا من ألوقائع، غير ان الاسئلة عملت اطارا رسمت من خلاله صورة الوقائع. بل وعملت ما هو اكثر من اطار حيث استطاعت ان تعطي زاوية لوجهة النظر، لمجموعة الالوان، للنمط الذي به ترسم الصورة. ويمكن القول انه في الاسئلة نضع مبادئ ألتحليل وفي الاجوبة نعبر عن ما يمكن ان تنتجه هذه المبادئ.

-وبهذا تكون لانجر قد وضحت اهمية النسق الذي يكمن خلف ثقافة عصر ما، مسالة طرحه المشاكل وطرق حلها، اي تقنية المشكلة أو تقنية نمط السؤال. وبهذا الشان تستعين بمقطع- لوايتهيد من كتابه "العلم والعالم الحديث" يشير إلى هذا التحديد المسبق للفكر،. "يقول وايتهيد"... هنالك بعض الافتراضات الاساسية الملازمة لمختلف الانظمة والمفترضة مسبقا في لا وعي هذا العصر. مع هذه الافتراضات فان عدد محدد ودقيق لأنواع الانظمة الفلسفية يكون ممكنا ومجموعة الانظمة هذه ستشكل فلسفة العصر. وهو مقطع غني بمرتكزات تشكيل فكر

فلسفي ما في عصر فلسفي ما من خلال الوقوف على افتراضاته الاساسية التي تشكل لاوعيه والتي ينشا على اساسها هرم من النظريات الفلسفية. -ولم تكتفي لانجر بالاستشهاد بوايتهيد لتاصيل موقفها بل وقد وجدت من هو قريب إلى رؤيتها في توصيف العمق اللاواعي لما يشكل العمق الثقافي لعصر ما وهو مقالة س. د. بارنز التي وصفتها بالرائعة وهي بعنوان "معنى الافق العقلي" the sense of the horizon، وجدت لانجر ان بارنز قد بادر للعمل على تطبيق نفس المبدأ، في ان أي حضارة لها حدودها في المعرفة في الإدراك في ردود الفعل، في الشعور، في الافكار. واصفا الحضارة في مكان وزمان معينيين بالافق المصطلح الذي يوضحه في المقطع الذي اختارته لانجر يقول- ان التجربة بأي لحظة تمتلك افقا. تجربة اليوم التي هي ليست تجربة الغد، تمتلك اشارة وتضمين لما هو غد في افق اليوم. فتجربة كل انسان هي اضافة إلى تجارب الاخرين الذين يعيشون في عصره أو عاشوا قبله، وايضا فان عالم التجربة المشترك هو اكبر من تجربة الشخص الخاصة كونه يمكن ان يعاش في ومن خلال كل شخص. ولكن مهما اتسع عالم التجربة فان افق العالم المشترك دائما ما يتسع ليستقبل ظهور تجربة جديدة. -فالافق اذن جماعي وليس فردي وهنا شيء مقارب لما طرحه فوكو من ان النسق منفتح على الجميع علاقات وافراد.-

حاول الفلاسفة في كل عصر ان يحسبوا حساب التجربة على قدر استطاعتهم. بعضهم زعم ان ما هو غير قابل للتفسير لا يمكن ان يوجد، لكن كل الفلاسفة العظماء يدخلون في اعتبارهم ما هو اكثر من القدرة على التفسير...

فهنالك شيء ما يجعل للظواهر معنى وهو الافق واذا قلنا افق فاننا نعني حضارة مستقرة فاذا بدأ تاريخ الفلسفة الغربية بتحويل الافق للنظر من الاساطير إلى الشعائر، أي إلى الاعتقادات والعادات التقليدية للإغريق في اسيا الصغرى... فاننا عندئذ نشهد حضارة مستقرة، أي يكون لترتيب الظواهر الطبيعية معها وعلاقاتها مع التجربة امرا ذا معنى. وهذا ما لم نشهده مع الاساطير التي لم تكن مترابطة والشيء الوحيد الذي يلمح إلى ارتباطها هو القدر الذي يقع خلفها. -واذا رجعنا للأفق الان يمكن القول انه وبسبب ما يوحي به من ارتباط عصر ما يمكن

القول وكما المحت ذلك لانجر بانه هو من زود طاليس والفلاسفة الاوائل الاخرين باشارة اولى نحو صياغة جديدة، تذهب نحو اليقينية بل وتوجهها -أي اليقينية-اتجاه العالم. فافق التجربة التي عاشها الفلاسفة الاوائل قادتهم نحو عناصر اليقين رغم كل التناقضات المحيطة بهم. واستهلوا الصياغة الجديدة بضم العناصر الجديدة إلى عنصر واحد، وبجرأة قالوا ان ماء هو الاصل. لكن هنالك حقيقة اخرى تنشا داخل الافق الثقافي لاي مجتمع أو لأي عصر وهي ان نفس التجارب يمكن رؤيتها بمناظير مختلفة، فاختلاف توجهات الناس يجعلهم يتناولون نفس الاحداث لكن بطرق مختلفة جدا، وتحاول لانجر ان تقرب ذلك بمثال عن قصة دخول القبائل إلى الدين المسيحي-، فاستجابة قبيلة الكونغو الزنجية في قصة دخولها الاول إلى الدين المسيحي مختلفة بشكل كبير عن السلالة الساذجة للنورسمين* أو الهنود الامريكيين. الامر الذي يعني ان كل مجتمع صادف الفكرة الجديدة وفق مفاهيمه الخاصة، وفق مضموناته الخاصة، بصمته الخاصة، بطريقته الاساسية لرؤية الأشياء اي بأسئلته الخاصة، بفضوله الخاص.

-وفوق كل هذا فان الافق الذي اشار اليه الاستاذ بارنز كما تقول لانجر هو من يجعل الأسئلة محددة وواضحة ولها معنى-. فالافق الذي رزخ تحته الفلاسفة الأيونيين الذين ابدعوا الفكر الإغريقي جعل اسئلتهم التي من نوع من ماذا صنع "العالم"، أو كيف تتصرف مادة "العالم"، جعلها تقود إلى افتراض فكرة عامة، بمثابة جوهر خالد، ونهائي أي افتراض المادة العامة التي من خلالها يمكن ان تحدث جميع انواع الاحداث. ما يعني ايجاد عمق ثقافي للفكر انذاك يربط الحس المشترك بروابط فكرية تناسب ثقافته. ففكرة مادة عامة تفرعت إلى اسئلة متعددة مثل: ماذا كانت الاشياء؟ وكيف تغيرت؟. مشاكل الصواب والخطا، الغنى والفقر، العبودية والحرية، جميع هذه الاسئلة تكمن خلف الافق العلمي. التي انتهجوا من خلالها مواقف صامتة، لا واعية املاها عليهم الاستخدام المجتمعي. ولاشك ان المفاهيم التي شغلتهم في زمنهم لم تثر ما هو جديد، ومهم، الذي يمكن ان يقود إلى اسئلة تحول المجتمع أو الشؤون الاخلاقية نحو عهد جديد.

---

* norsemen تسمية اطلقت على من يتحدثون اللغة الاسكندنافية القديمة التابعة لفرع الشمال الالماني من اللغات الهندواوربية - المترجمة

-ولعل التحول الحقيقي قد حدث مع سقراط، تقول لانجر- "اعتبر الاستاذ بارنز الفكر الاغريقي باجمعه احد صياغات التجربة الواسعة.. حيث يقول "العمل على صياغة التجربة الاغريقية توج بالنظريات العظيمة لافلاطون وارسطو. اللذان صدرا من ينبوع سقراط. الذي كان قد تحول من دفاعه عن الفلاسفة الاوائل إلى السؤال عن شرعية أي دفاع على الاطلاق. ليس ماذا كان العالم لكن كيف يمكن للمرء ان يعرف ماذا كان، ولذلك فان ما يمكن ان يعرفه المرء حول ذاته يبدو بالنسبة له ماذا يكون السؤال الاساسي. فالصياغة التي بدأها طاليس قد اكملها ارسطو".

-ان ما يعلنه بارنز في مقطعه هنا هو التاكيد على مسيرة التاريخ التي اكتنزت مع الحضارة الهيلينية.. ولاتنسى لانجر ان تضيف بان المسيرة التاريخية فيها تحولات، وواضح ان كل تحول هو ما يمثل الافق الذي يشكله هذا التحول تقول- بين طاليس والاكاديمية لاشك من وجود تحول بعيد في الأفق مع قدوم السفسطائية. ان اسئلة سقراط كانت بمثابة فكر اغريقي جديد في وقته كما هو الحال مع عصر طاليس وانكسمندريس المبكر. لم يواصل سقراط ولم يكمل الفكر الأيوني فهو ببساطة اهتم بالطبيعة التأملية التي تمثل صميم الحياة عند فلاسفة الطبيعة، وعمل عمره لم يكن ابعد من المشروع القديم وبدرجة متساوية. فهو لم يمتلك اجوبة جديدة، لكن اسئلته كانت جديدة، من هنا فهو قد جلب اطار مفاهيمي جديد، وهو منظور مختلف كليا عن الفلسفة الاغريقية. المشاكل التي اتى بها سقراط قد نمت من الميدان الذي كان يخطب فيه السفسطائيون، الذين كانت خصائصهم الاساسية لا عقلانية وفقا للتقليد الاكاديمي. حيث اعتبر سقراط شرعية المعرفة مصدرا لألغازه الجديدة، ومن ثم قيمة المعرفة، غاية العلم، الحياة السياسية، الفنون العملية، واخيرا مادة الطبيعة، جميعها اصبحت بالنسبة له شكوك، منذ ان بدأ بالعمل مع فكرة جديدة. فليست المادة الاولى ومظاهرها الكاذبة، منتجاتها العملية، قوانين التغيير وتماثلها إلى اقصى حد هي من شكلت مفاهيم محادثاته، بل نظرية القيمة هي من فعلت ذلك.

فكون أي شيء يمتلك قيمة يعني انه يتطلب دليل أو شهادة واضحة، -اذا جغرافيا المكان السفسطائي وفر بيئة للتحول بنظر لانجر مع سقراط نحو صورة

جديدة للفلسفة تمثلت بالقيمة. فسقراط الذي وجد نفسه امام اختلاف اجوبة الايونيين وامام ساحة الخطابة السفسطائية كان قد دون اسئلته في ضوء المفاهيم القديمة لكن بشكل جديد فاسئلته تمحورت نحو شيء جديد- وهو قيمة الاشياء، هل الاشياء خير ام شر؟ هل هي بذاتها ام بعلاقاتها مع غيرها هل هي خير بالنسبة لكل انسان أو لبعض الناس أو بالنسبة للالهة وحدها. وهي اسئلة وسعت من الافق الفلسفي في جميع الاتجاهات، وبآفاق تنظر للآتي.

وهذا الكلام يدل إلى شيء مهم وهو ان حدود التفكير متضمنة فيه -أي في التفكير-بامتلاكه ملكة التصور وبوفرة الافكار المصاغة التي معها يتعرف العقل على التجارب فالعقل لا يتعرف إلى التجارب لتثبت حدوده بل يتعرف اليها لما يمتلكه من حدود فلا شيء ياتيه من الخارج.

-والان وبعد ان بينت لانجر اهمية الافق وكيفية نشوء الاسئلة والاجوبة في ظله تنتقل إلى ايقونة جديدة كانت قد نحتتها لتفسير الخطوة الاولى في أي فكر فلسفي وهذا تتدرج به من مفهوم القدحة ومفهوم الفكرة الاساسية لتنتهي إلى تسميتها بالفكرة التوليدية تقول- الفكرة الجديدة هي قدحة light تنير الوجود الذي لا يمتلك وضوحا في تقديم صورة لنا قبل وقع هذه القدحة عليه. نحن ننقل turn هذه القدحة هنا، هناك، وفي كل مكان، ونحن نعرف ان حدود التفكير كانت منحسرة قبل ذلك. العلم الجديد، الفن الجديد، أو نظام الفلسفة الحديث والنشط، قد ولد من خلال هكذا حدث اساسي(القدحة)... او.. ان القيمة، الصدق، الفضيلة، أو العالم الخارجي أو الوعي الداخلي، هي ليست نظريات، انها مفاهيمterms من خلالها يمكن تصور النظريات، فهي تثير اسئلة محددة وانها تكون مفسرة فقط في شكل هذه الاسئلة. من هنا يمكن للمرء تسميتها ب"الافكار التوليدية" في تاريخ الفكر". اذن كل ماولد الانظمة والاشكال والموضوعات المختلفة في الفلسفة وكل المفاهيم هي قدحات -وهذه القدحات ليست ساكنة بل هي توليدية أي تتفرع في شبكة من المفاهيم التي يمكن ان صح القول ان تتصير نظريات.

اذن الافق الفلسفي الهائل قد فتحه طليس بسؤاله: من ماذا صنع العالم؟ وقد تحول هذا الافق نحو الاسئلة حول تغييرات المادة، مشكلة الارتقاء والانحلال، قوانين

التحول في الطبيعة. ومسيرة هذا الافق التاريخية كان قد عرقلها نفاذ امكانيات العلم البدائي لايجاد حلول-، ومازق التنظير بسبب ارتباك بدائل الاجوبة، الامر الذي جعل الافق مفتوحا امام سقراط ليقدم اسئلة واضحة ومحرجة، اسئلة لم تكن لتهتم بـ "أي الاجوبة هو الصواب؟" بل همها هو: "ما هو الحق؟" "ما هي المعرفة، ولماذا نريد اكتسابها؟: وهي حقا اسئلة محرجة لان تضمنها مبدأ جديدا للتفسير، وهو فكرة القيمة جعلها تتجاوز الافق القديم وتتحول نحو افق جديد اربك الاسئلة القديمة. فلم يبحث سقراط عن وصف حركة وعن مادة الشيء بل بحث عن غرضه، من اجل فهمه. ومن هذا التصور(القدحة)او (الفكرة التوليدية) ولدت استفهامات جديدة عديدة مثل ما هو الخير الاعلى بالنسبة للإنسان؟ بالنسبة للعالم؟ ما هي المبادئ المناسبة للفن، للتعليم، للدولة، للطب؟ لأي غرض تدور الكواكب والسماوات، لأي غرض تتوالد الحيوانات، وتنشأ الإمبراطوريات؟ ولماذا امتلك الانسان يدين وعينين ومنح اللغة؟.

ويمكن القول ان سقراط كان على استعداد لقبول ما هو تقليدي حول موضوع العناصر، لكنه سأل بدوره: "لماذا نحن خلقنا من النار والماء، التراب والهواء؟ لماذا نمتلك عاطفة، وحلم بالحقيقة؟ لماذا نعيش؟ لماذا نموت؟. ان ديمقراطية افلاطون المثالية وعلم ارسطو الوردي اجاب عن ذلك. لكن لا احد توقف لتوضيح ما الخير الاقصى أو معنى الغاية (القصد)، كل هذا كان بمثابة افكار مولدة لكل ما هو جديد، وجذري، من المشاكل الفلسفية، ومن معايير التفسير، ولما ينتمي إلى الحس المشترك.

-من هنا هل يمكننا التصريح بان عصر ما يمكن القول عنه انه قد اكتمل عندما يستهلك جميع مفاهيمه المحركة، فلما نجيب عن الاسئلة تستثمر جميع المفاهيم لصياغتها، الا نستطيع القول اننا بدانا نغادر تلك المشاكل. لا سيما عندما لا تكون- هذه المشاكل قادرة على تفسير عبارات التناقض. فهي ممكن ان تقدم جوابين جيدين أو اكثر بشكل متساوي، بحيث يهزم احدهما الاخر. ولو نال جواب ما عدد معين من الاتباع ما يجعلهم يستخفون بحقيقة ان الاخرين قد يعرضون خطا جوابهم هذا، لكن حقيقة ان الاختيار من بين هذه الحلول المنافسة التي تعاني من نفس العيوب سيجلب راحة حقيقية وفقا لأسس مزاجية. ولعل مغادرة هذه المشاكل هو من سيقدم التحول الاهم.

-لانه في هذه المرحلة تصبح الفلسفة أكاديمية، والاكاديمية تشير إلى الجسد المنتظم الذي يمتلك شعارا ومسيرة جديدين-، فشعارها اصبح التفنيد، وحياتها قائمة على الحجة اكثر من قيامها على تفكير خاص،... وبؤرة الاهمية تكمن في التحول من موضوع الفلسفة الواقعية إلى موضوعات خارجية مثل علم المناهج، التطور الذهني، مكان الفلسفة في المجتمع، والتبريرات.

-تشير لانجر إلى حقيقة ان -عقل الانسان فاعل دائما. وانه عندما تحرث الفلسفة في حقول اخرى يجعلها تجني bring ثمار وفيرة. ولاشك ان التحول الاول بعد نهاية الفترة الهيلينية (حضارة الاغريق) قد تجسد بالفكر المسيحي، -وقد وصفت لانجر هذه الفترة -بفترة عمق النسيج الرائع للمخيلة والايحاء العاطفي مع نشوء وانتصار المسيحية، والاسئلة ذات الموقف الثوري والعميق كانت قد نشات، ما سمح لما يقارب الالف سنة من النمو الفلسفي، بادءا مع اباء الكنيسة الاوائل وتوج بالاسكولائية العظيمة. لكن على الاقل فان افكارهم التوليدية مثل الاثم والانقاذsalvation، الطبيعة والشرفgrace، الوحدة، اللانهاية، والمملكة قد اطرت اعمالهم. فتشكلت انظمة الفكر الواسعة، ونوقشت كل المشاكل السديدة. ومن ثم اتت الالغاز العويصة، التناقضات التي غالبا ما عينت حدود ماهية الفكرة التوليدية، ورؤية ثقافية ما ستفعل ذلك. العقل المسيحي المنهك انامrested قضيته، واصبحت الفلسفة معه ترداد وتبرير ضعيف للايمان.

فظهر "الفكر المجرد" كعمل اكاديمي من دون قيمة. -وربما يذكر التاريخ لنا تفاهات لا تروق حتى للانسان العادي- تقول لانجر لقد اخبرنا اساتذة التاريخ بان الاشخاص المتعلمون في العصور الوسطى قد ناقشوا بجدية كيف ان العديد من الملائكة رقصوا على رأس ابرة. بالطبع ان هكذا تساؤل واسئلة اخرى مماثلة قد امتلكت معاني عميقة وجيدة تماما- في هذه الحالة يتوقف السؤال على طبيعة الملائكة المادية والروحية (فاذا ما كانت روحية فان عدد لا محدود منها يمكن ان يشغل موقع بلا ابعاد) من هنا فان هكذا مشاكل تكون غامضة وتدل على الجهل، وهي بلا شك تمدنا بتفاهات jokes... عموما لقد خنق التفكير السكولائي بشكل تدريجي تحت ضغط المصالح والعواطف الجديدة، وبدا التحول نحو عصر جديد وهو عصر النهضة حيث ازدياد الافكار الحديثة والإلهام الادبي.

ان الاهتمامات الثقافية القديمة قد ذبلتflagged، والمفـــاهيم القديمـــة قـــد شحبت، وهي تواجه هذا النشاط الجديد، هذه الحداثة، وهذا التحدي المذهل.

اذن حلت الحداثة الغربية على الفكر، والحرة محل الفكر الفلســـفي القـــديم. حلت الحداثة بعد ان وهنت كل القوى بسبب مشاكل عصرها العملية والأخلاقية، والميتافيزيقا التي بدت مبجلة، اصبحت في طريقها إلى البطلان.

-وفي ظل هذا ربما يتبادر في ذهننا سؤال وهو هل ان التحـــول يـــتم دفعـــة واحدة؟ الجواب كلا تقول لانجر- لقد احتاجت الاحداث الكبيرة عـــدة قـــرون لتصبح نظاما معترفا به"، فبعدما الهبتهم الحماسة الانفعالية، نضجت الافكار الحديثة إلى ما يمكن اعتباره مبادئ دائمية، ومن خلال هذه النظرة تحول الفضول الطبيعـــي نحو مبادىء للحياة، ناشدا جوهرها، تفرعاتها الداخلية، واسس حمايتها. واصـــبح تأويل النظريات اكثر الحاحا، وهكذا فان عصرا حيويا آخرا للعقل كان قد بدا - كما تقول لانجر-.

ولكن ووفق حتمية التحولات فان قرون من التقليد العقيم، والقطع المنطقي، والتحزب في الفلسفة، وكثرة اللامعنى، الهرطقات، قد هيات جوا يتنـــافر وعصـــر النهضة ما جعل هذا التنافر يتبلور إلى مشاكل عامة ونهائية. وكان الحل في الافـــاق outlook الجديدة للعقل الانساني في مواجهة الحياة والعالم الذي اربك هذا العقل، وعصر الفلسفة الطبيعية والعقلية الديكارتي تابع succeeded لهذا الميدان.

-وهنا تلمح لانجر إلى افق العصر الحديث، عصر العقل، عصر التحول نحـــو افكار توليدية جديدة، ولاشك ان هكذا عصر يرزح تحت كشوفات علمية هائلـــة وقدرة تفسيرية لظواهر العالم بترجمة رياضية رائعة، اقول لابد من ان تكون فكرته ليست توليدية فقط بل ثورية عظيمة بتعبير لانجر-.

-وتجسدت اهم فكرة توليدية في هذا العصـــر بتقســـيم الحقيقـــةreality إلى قسمين: داخلية وخارجية، ذات وموضوع، التجربة الداخلية والعـــالم الخـــارجي. ومن خلال هذه الفكرة برز مفهوم المعطى أو المعطى الحسي إلى السطح، وكالعادة فان أي مفهوم أو فكرة توليدية لابد من ان تقدح اسئلة، تقول لانجـــر- عنـــدما نتحدث عن المعطى، عن المعطيات الحسية، عن الظاهرة، أو عن الذوات الاخرى، فاننا نتحدث عن المعطى المباشر للتجربة الداخلية ولاستمرارية العـــالم الخـــارجي.

ووفقا لهذا صيغت اسئلتنا الاساسية بالعبارات الاتية...: ماهو الشيء المعطى للذهن فعلا؟ ما هو ضمان حقيقة المعطى الحسي؟ مالذي يقع خلف النظام الظاهري للظواهر؟ ما علاقة الذهن بالدماغ؟ كيف يمكننا معرفة الذوات الاخرى؟ -هذه المشاكل أو الاسئلة قد اصبحت اليوم مالوفة لاسيما كما اشارت لانجر اننا نشهد تفصيلات بأجوبتها من قبل كل- انظمة الفكر الحديث: كالتجريبية، والمثالية، والواقعية، والفنومنولوجية، والفلسفة الوجودية، والوضعية المنطقية. لكن من اكثر المذاهب التي تميزت بهذا الموضوع كما تشير لانجر هما: المذهب التجريبي والمذهب المثالي. حيث وصفتهما -أي لانجر- بانهما "نظريات شاملة، واضحة، نشطة لفكرة notion أو تجربة توليدية جديدة، انصارها كان قد الهمهم المنهج الديكارتي.

-وبالعودة إلى هذه المدارس الفلسفية، حيث كل مدرسة اقتحمت بدورها وبصخب العالم الثقافي، وبالنظر إلى تنوع هذه المدارس وتالفها مع الاسئلة الجديدة وتقديمها الاجوبة يجعلنا نتفهم التحول نحو شيء جديد، نحو التحرر- من المفاهيم القديمة ومن حدود البحث المربكة وقد شعرت الجامعات والحلقات الادبية بهذا التحرر، ما يعني انها تالفت مع صور العالم الجديدة التي رحب الجميع بها بامل تشكيل توجه صحيح في الحياة، والفن، والعمل.

-لكن تذكر لانجر ان هنالك نوع من- الظلال والفوضى لازما الرؤية الجديدة هذه بوضوح، ما جعل النظريات اللاحقة وبطرق مختلفة الخلاص escape من.. المأزق الذي اوجده انقسام الذات والموضوع، والذي اطلق عليه الاستاذ وايتهيد اسم "تشعب (او تفرع) الطبيعة" وهذا ان عنى شيئا فانه يعني اننا بصدد تحول جديد تحول نحو افق اصبحت معه "نظرياتنا اكثر دقة، اكثر حرصا، اكثر حذاقة، فلا يمكن لأحد ما ان يكون مثاليا بشكل صريح، أو السير بطريق التجريبية كله، فالصور المبكرة للواقعية تعرف اليوم بأنها تنوعات ساذجة، وقد حلت محلها الواقعية النقدية الجديدة. العديد من الفلاسفة قد رفضوا بشدة أي سياق ايديولوجي، وتراجعوا عن الماتافيزيقا من حيث المبدأ.

-تقول لانجر- اننا ولخمسين سنة على الأقل شهدنا كل العلامات المميزة التي وسمت نهاية عصر ما كادخال الفكر في مذاهب اكثر تنوعا، ولغط اتباعها لان

يصغوا ويحكموا جنبا إلى جنب، والدفاع عن الفلسفة كمهنة pursuit محترمة ومهمة، وازدياد المؤتمرات والندوات، وسيل النصوص النقدية، والدراسات، والتحقيقات، والدراسات التعاونية. لم ينقض الشخص المتعلم غير المتخصص على كتاب جديد في الفلسفة كما انقض الناس على كتاب اللوياثان (التنين) أو النقد الكبير أو حتى العالم كارادة وتمثل. فهو لم يتوقع اخبار ثقافية كافية من استاذ الكلية. لكن على الاصح ان ما توقعه هو قبول المثالية أو الواقعية، البراجماتية أو اللاعقلانية، كل وفقا لاعتقاده الخاص.

-وتاخذنا لانجر ونحن في معمعة هذا الموضوع إلى مناقشة بسيطة عن مسالة الياس من وجود ايمان عقلي، فوفق رايها- ان الانسان العادي الذي لديه ايمان لن يهتم فيما لو كان هذا الايمان عقليا ام لا. فهو يستخدم العقل ليرضي فضوله، والفلسفة لا تحثه، ناهيك عن تلبية فضوله. فالفلسفة قد حيرته بالغازها اللاعملية...-وترجع لانجر مرة اخرى إلى القرن السابع عشر بافكاره التوليدية، قرن العبقرية مستعيرة المصطلح من وايتهيد من دون ان تنسى التذكير بالصعوبات الملازمة لتصورات هذا العصر الاساسية والتي اعتبرتها اعاقة لتفكيرنا اليوم. ولكن لا ياس مع تاريخ المعرفة والعلم فهو كثيرا ما يفاجئنا بتحولات جذرية، ومتى ما زودنا التاريخ بمعرفة جديدة، سنعرف ان اسئلة جديدة ستنبت-.

-ففي تحول التاريخ في عصر العلم نحو التكنولوجيا الهائلة اضمحل عصر الفلسفة. وتحاول لانجر هنا ان تجذر لموضوع العلم فلسفيا، فتعلن نتيجة تقول- ان كثيرا ما قيل بان العلم الحديث قد نبت من المذهب التجريبي، الا ان هوبز ولوك لم يعطيانا فيزياء، وبيكون الذي عبر عن عقيدة العلماء المتكاملة، لم يكن لا فيلسوفا ناشطا ولا عالما، لقد كان اساسا رجل ادب وناقد للفكر الآني. والفلسفة التي نشأت خارج توقعات العلم هي الوضعية، وربما هي اقل اهمية من كل النظريات.

-وهذا الكلام كان فرصة لتوسيع لانجر نقدها للوضعية حيث اعتبرت الوضعيين- علماء ميتافيزيقا، غير قادرين على التفكير بالشكوك الفلسفية التي اعترت التجريبيين، هذا فضلا عن عدم اثارتهم لاي مشكلة ابستمولوجية، ذلك كون ان اعتقادهم بصحة الحس قاطع ومطلق. من هنا فقد تراجعوا عن مشاكل

الابستمولوجيا الاساسية، و لم يبتكروا سوى مجال العمل المختبري. لكنهم بالحقيقة قد وضحوا ان نمو العلوم الفيزيائية قد طرق افاقا مختلفة عن الحقيقة. وما طرحوه هو ما يدعى "الافكار العمليةworking"، واقوى كل هذه الافكار كان مفهوم الواقعة fact. وهو مفهوم مركزي اثر على التقارب بين العلم والتجربة، واحتقر الاهداف الذاتية اللاحقة. فهنالك شيء ما حاسم final ياتي من الحس.

وبهذا الشكل تخالف الملاحظة المجردة معطيات الحس. وهذا الميدان أي ميدان الحس هو بالضبط ما كان العلماء يحتاجونه ويحق الاشادة به لاسيما وان من السهولة ملاحظة تماثل الوقائع واستيعابها بالحس المشترك. من هنا كان العلم -على اعتبار انه ضد الفلسفة حتى في العصر الفلسفي المتحمس والفعال- كان قد اقصر البحث على العالم المرئي كون افتراضاته لا جدال فيها.

-لقد عبرت لانجر عن نمو العلم الفيزيائي مشبهة اياه بنمو شجرة الفاصوليا، - بحيث غطى كل شيء حتى منتجات الفكر الانساني المنافسة له rival. حيث حل الشغف بالملاحظة محل حب العالم scholarly لتعلم المشاكسة، ولعل تطور التكنولوجيا التجريبية بسرعة فائقة جعل الانسانية تنظر إلى تكرار الوقائع كينبوع للنمو. وما يثبت نجاح العلم هو ان التطبيقات العملية للمعرفة الميكانيكية الجديدة سرعان ما عممت ورسخت في الجامعات. وفي ظل هذا السياق ابتعدت اهتمامات الفلسفة التقليدية نحو مكان لا يحظى بشعبية في حجرة الدرس. فلا احد يهتم كثيرا بمدى متانة أو تعريف المفاهيم، أو بالتصورات الصحيحة، أو بالاستنباط الصوري.

-فبالنسبة للتجريبيين اذن اعتبرت المعرفة الاتية من- التجربة الحسية هي المعرفة الوحيدة التي تحمل علامة الصدق، لانه وفقا لكل عقل حديث تكون الحقيقة متماثلة مع الواقعة التجريبية. والشيء نفسه بالنسبة لنجاح التثقيفculture العلمي برؤية فلسفية. لقد اصبحت عقيدة التجريبية النقدية المسلم بها ليست الشكية، بل الوضعية عقيدتها اصبحت هي الميتافيزيقية الرسمية. لاشك ان كنز المعطيات الواسع هو راسمال التجربة بمنهجها المعلن، ولاشك ان برهانها يقوم على التنبؤ الدقيق بحادثة تقع في المستقبل. -وتشير لانجر إلى ان- القصةaccount المبرمجة لهذه المغامرة العظيمة، قد طرحت بشكل جميل في كتاب بيكون "الاورغانون الجديد"، الذي كان قد تبعه بعد بضعة قرون بمجمل متكامل لكل ما هو معتبر

بشكل علميا، في شرائعcanons الاستقراء لجون ستيوارت ميل وهو نوع رسمي من البيان الميثودولوجي. وبمثل ما تنمو صورة العالم الفيزيائي وتتطور التكنولوجيا، فان الانظمة التي استندت إلى المبادىء العقلية مباشرة كانت مهددة بالاندثار، فالمنطق، والميتافيزيقا، وعلم الجمال، وعلم الاخلاق، قد شهدت هذا اليوم.

-وربما هذه نقطة حاسمة لنعلن من خلالها ان الانفصال قد بدا، اقصد انفصال فروع الفلسفة المختلفة، الواحد بعد الاخر- كالطبيعية، والعقلية، والاجتماعية، أو الدينية-. واسترسلت لانجر لتوضيح تفاصيل هذا الانفصال بدقة مثيرة للاعجاب فتقول- "بالنسبة للعلوم الطبيعية فكانت قد استقلت بنجاح باهر، اما الانسانية فقد استقلت بمزيد من الامل وبزوبعة من دون انجاز فعلي. وكانت العلوم الفيزيائية قد حددت خطواتها من دون حيرة كبيرة، اما علمي النفس والاجتماع فسعيا بجهد وبشكل جدي "لضبط دورهما والحفاظ على خطوتهما" من دون ان يبرعوا مع القوانين الرياضية بشكل لافت. وغالبا ما انفق علماء النفس الكثير من الوقت لاعلان تجريبيتهم، ومقدماتهم الواقعية، وتكنولوجياتهم التجريبية، من خلال تدوينهم للتجارب وعمل الاستقراءات العامة. الا انهم بقوا يخبرونا بان سبب افتقارهم للقوانين والنتائج الحسابية هو بسبب حداثة عهد علم النفس. عندما كانت الفيزياء قديمة قدم علم النفس اليوم، كانت مجموعة متسقة ومحددة من الوقائع العامة، وكان واضحا في كل خط من تطورها الطبيعي ظهور امكانيات لتوسيع المستقبل. يمكن القول ان الفيزياء "لا تصنع بل تنمو". بينما علم النفس العلمي قد صنع في مختبر، وبشكل خاص في ميدان منهجي عام. قد تكون المعالجة deel الجيدة مصنوعة حقا، الا ان النظام الصناعي لا ينمو كما ينمو النبات البري، حيث نجاحاته التكنولوجية تكون مناسبة للاكتشافات في الفيسيولوجيا أو الكيمياء بدلا من الوقائع النفسية.

اما اللاهوت، الذي ليس من الممكن ان يسلم بالمناهج العلمية كان ببساطة قد احتشد خارج الميدان الثقافي وانحسر بمكتبات معزولة لتعاليمه.

وبالنسبة للمنطق فهو كان النموذج الحقيقي ومعيار للعلم، الذي تكمن وسيلة نجاته الوحيدة في تبرؤ عدته الثمينة من "الافكار الواضحة والمميزة"، وممارسة البرهان من الوقائع التجريبية فقط على قدم المساواة مع الاثار الواقعية.

عندما استثمر المنطقي في مغامرة الفكر الانساني الكبرى، وجد نفسه مختـــزلا إلى نوع من مراقب خط لسكة حديد وفق تعبير لانجر، حيث كلف بمهمة حفـــظ اثار وتحولات التفكير العلمي لتاكيد التقارير الحسية التي تجعل الترابطات مناســـبة. لايبدو ان المنطق يستطيع انارة طريقه، كونه لا يملك أي اساس للوقائع... فالمنطق قد اصبح مجرد انعكاس لمناهج مفيدة ومجربة لتقصي الحقائق، وضمانة رسمية تقنيـــة لعملية التعميم الوهمية المعروفة بالاستقراء".

-ومما سبق يبدو ان انفصال العلم آت من فكرة توليدية طرحتـــها الفلســـفة وهي تقسيم الطبيعة، وتقولب بقالب الدهشة من قبل فلاسفة التجريب المتطـــرفين تقول لانجر- لثلاثة قرون ونصف ولد العلم من فكرة توليدية، وهي تشعب الطبيعة أو تفرعها إلى داخلية وعالم خارجي. بالنسبة لاجيال كومت، ميل، وسبنسر، يبدو كما لو ان جميع المعرفة الانسانية قد تشكلت في قالب جديد، كما لو ان لا شيء يمكنه ان يتبلور في اي قالب اخر... واذا ما عبرت الانسانية طور التعليم الفلسفي، كما اعلن كومت، باستخراج افكار مدهشة، فسوف نغادر العديد مـــن المواليـــد الميتة من الافكار التي تظهر على طول الطريق.

-وفي ظل المسيرة التاريخية للفلسفة وتحولاتها بافكارها التوليدية وولادة العلم وتحولاته اعلنت لانجر اهمية العقل الانساني المنتج في كل الظروف وبشاعرية شبهته بالحياة والنبات تقول- ان عقل الانسان هو دائما منتج، انه يخلق وينبذ، كالارض التي تعلن عن حياة جديدة تكمن تحت الخرابdecay القديم دائما. فاذا ما توارت اوراق الاشجار الميتة في عام سابق فانه ليس البذور فقط بل والنبـــات الاخضـــر الناضج، على استعداد ليزهرا في ربيع هذه السنة. وهذا يماثل فصـــول الحضـــارة: فتحت ستار ملل الانتقائية اليونانية والرومانية، نشات المسيحية حيث اخضعت قوة تصورها ووضوح تفسيرها عن الحياة اخضعتها إلى العقيدة، الشـــريعة، ومنـــهاج التعليم، بتعلمها الجدل والبرهنة، الذي ادى إلى ولادة نموذج عظيم من التجريبيـــة الذاتية، وتعود لانجر وتقول "ان اعادة اكتشاف الحياة الداخليـــة"، كمـــا اسماهـــا رودلف اوكين، كانت قد اوحت به الفلسفة منذ عصر ديكارت حتى نهاية المثالية الالمانية. وتحت مذاهبنا، مناهجنا، مؤتمراتنا، وندواتنا المتنافسة كما لو كان هنالك شيء ما قد دبر ايضا.

-فالعقل منتج اذن وتطور المعرفة والعلم كما لو انهما دبرا بكتمان، ولكن هنالك اسئلة تعترض فهمنا وهي كيف ذهب العقل نحو الرياضيات والهندسة؟ ما هي علاقة الرياضيات بالتجربة؟ كيف رأى التجريبيون والرياضيون الحقائق؟ ربما نجد الاجوبة على هذه الاسئلة في المقطع التالي للانجر تقول- "لا يمكن لاحد ان يلاحظ من بين العاطفة الاولى لتقصي الحقائق التجريبية، بان علم الرياضيات القديم قد ذهب بهدوء نحو العقل المجرد. ويبدو الاحساس انيقا امام حاجات الفكر العلمي، فهو يلاءم العالم الملاحظ للواقعة المحكمة، ذلك ان اولئك الذين تعلموه واستخدموه لم يتوقفوا عن اتهام اولئك الذين قد ابتكروه وانشاوه من كونهم مجرد مفكرين، وانه يفتقد إلى المعطيات الملموسة. حتى الان يعتقد بعض التجريبيين المخلصين بان الاسس الواقعية المؤسسة على الرياضيات هي مركب لنتاج رديء. بعض الرياضيين استوعبوا بان الاعداد كانت قد اكتشفت بالملاحظة، أو حتى العلاقات الهندسية قد عرفناها بالاستدلال الاستقرائي من عدد من المشاهدات الملاحظة. الفيزيائيون ربما اعتقدوا بان الوقائع اليقينية عوضا عن كونها ثوابت ومتغيرات، الا ان نفس هذه الثوابت والمتغيرات ستعمل في مكان اخر لحساب وقائع اخرى، والرياضيون انفسهم لا يفضلون أي مجموعة من البيانات. فهم يتعاملون مع مفاهيم تكون خصائصها الحسية لا علاقة لها بالموضوع أبدا معطياتهم التي هي اصوات أو علامات اعتباطية تدعى "الرموز"". -وتبدا لانجر هنا ببناء الخطوة الاولى لجغرافيا الرمز تقول- خلف تلك الرموز هنالك تجريدات أجرأ أنقى اروع يحدثها الجنس البشري على الدوام. لم يتفكر المدرس في جوهر وصفات أي شيء مقارب مثل تجريات علم الجبر. من هنا فان بعض اولئك العلماء الذين تفاخروا بمعرفتهم الواقعية الملموسة، ادعوا رفض أي برهان ما عدا البرهان التجريبي، و لم يتحيروا في قبول الاثباتات والاجراءات الحسابية، غير المادية، وفي بعض الاحيان كيانات الرياضيين الخيالية. مثل الصفر واللامتناهي، الجذر التربيعي للاعداد السالبة، الاطوال غير المتكافئة والابعاد الاربعة، جميعها مرحب بها في المختبر. وتتساءل لانجر ما هو سر قوة الرياضيات، عندما ينتصر التجريبيون عمليا ضد اكثر اعتقاداتهم توقدا ووفقا لنظرياتهم العقلية والوقائع المجردة؟ تجيب لانجر الرياضيون نادرا ما يكونوا اشخاصا عمليين، أو ملاحظين جيدين للاحداث. لقد جنحوا ليكونوا معزولين، مثل الفلاسفة واللاهوتيين.

-وتتساءل لانجر مرة اخرى- لماذا تجريداتهم -اي تجريدات الرياضيين- لم تؤخذ بشكل جدي فقط بل واخذت على انها حقائق ضرورية واساسية لملاحظة النجوم أو اختبار المركبات الكيميائية؟ -وتاتينا لانجر بجواب هو بمثابة السر تقول- بالحقيقة يكمن السر في ان الرياضي لا يعلن قول أي شيء عن الوجود، عن الحقيقة، أو عن فعالية أي شيء على الاطلاق. حيث ينصب اهتمامه على امكانية ترميز الاشياء، وترميز العلاقات الذي به تتداخل بعضها مع بعض. "فكياناته" هي ليست "معطيات"، بل تصورات. وهو السبب الذي اجاز للعلماء التجريبيين ان يبغضوا عناصر"الاعداد الخيالية" و"الكسور العشرية اللانهائية". التركيبات الرياضية اذن هي رموز وحسب، وهي تمتلك معاني من حيث هي علاقات، لا من حيث كونها مواد substance. بالنسبة للرياضي الحقيقي، "الاعداد لا تكون ملازمة للاشياء، ولا الموضوعات المكررة circular" تحتوي على درجات. الاعداد والدرجات وكل شيء من قبيلها هو بمثابة خصائص فعلية لموضوعات واقعية. اجمالا ان اجتهاد العالم بالقول، "ان س يعني هذا، وان ص يعني ذاك". كل هذه التحديدات الرياضية تقوم على ان س وص يجب ان يرتبطا بكذا وكذا. واذا ما ناقضت التجربة النتيجة، فسوف لن تعبر المعادلة عن ارتباط هذا الـ س وذاك الـ ص، وان س وص سوف لا يعنيان هذا الشيء أو ذاك. ولكن ليس هنالك رياضيا مهما كانت قدرته الاحترافية يستطيع ان يخبرنا بان هذا الشيء هو س ما يجعله يمتلك خصائص هي كذا وكذا.

-ولعل دقة الرياضيات ويقينيتها من خلال قدرتها على الترميز هو ما جعلها بمثابة اداة مهمة لعلم الفيزياء بحيث جعلهم يغادرون الوسائل التجريبية القديمة، وسيلة اساسية للعلماء لاثبات دقتهم بل وللذهاب بملاحظاتهم نحو التجريد اكثر تقول لانجر- ان ايمان العلماء بقوة وصحة الرياضيات جعلها -أي الرياضيات- متضمنة في عملهم الذي اصبح تدريجيا اقل واقل ملاحظة، واكثر واكثر حسابي. تراكم المعطيات المشوشة وجدولتها قد وفر طريقا لعملية تحديد المعاني الممكنة، بمجرد افتراض الكيانات الواقعية، للمفاهيم الرياضية، يمكن حساب النتائج المنطقية، وعرض التجارب الدقيقة الحاسمة لاختبار الافتراضات امام النتائج الواقعية، التجريبية. لكن الوقائع التي اصبحت مقبولة بسبب مزية هذه الاختبارات هي لم

تلاحظ في الحقيقة اطلاقا. وبتقدم التقنية الرياضية في الفيزياء، اصبحت نتائج التجربة الملموسة اقل اثارة، ومن ناحية اخرى، تطور معناها باتجاه عكسي. لقد غادر الاشخاص في المختبر صور الاختبار القديمة مثل اوزان غاليلو وطائرة فرانكلين حيث لا يمكنهم القول انهم لاحظوا موضوعات واقعية لما قد اثار فضولهم على الاطلاق، فهم قد راقبوا بدلا عن ذلك مؤشر الابر، دوران الاسطوانة، واللوحات المرهفة... فالملاحظة اصبحت غير مباشرة، وحلت القراءات محل الدلالات الاصلية. فالمعطيات الحسية التي استندت اليها قضايا العلم الحديث، هي على الاغلب بقع ضبابية فتوغرافية صغيرة، أو خطوط حبرية منحنية على الورق. لكنها -أي -هذه المعطيات تجريبية بما فيه الكفاية، الا انها ليست الظواهر موضع السؤال ذاتها، فالظواهر الواقعية تقف خلفها كما لو انها اسبابها المفترضة...

-وتفصل لانجر بمسالة الملاحظة مرة اخرى مبينة الفرق بين الرؤية والاعتقاد، وافتعال الاحداث ما يجعل البت بها مرتبكا، ونتيجة هذا تصل بنا لانجر إلى رؤيتها القائلة ان المعطيات رموز ونحن نشهد هذا منذ بداية كلامها عندما استخدمت لفظ العلامة لتدل بها على الواقعة الفيزيائية تقول- ولكي نحصل على القضايا العلمية علينا تاويل العلامة الدالة على "الواقعة الفيزيائية"... الرؤية seeing هي مشاهدة وحساب، مشاهدة مترجمة أي ببساطة هي ليست اعتقاد. وهذا طبعا ما تعتبره التجريبية المتطرفة باطلا. وبالنسبة لمادية العلماء فانه لا يمكن للمعطيات الحسية ان تعوض عن الكل. -ومن جهة اخرى- ان الاحداث التي يراقبها العالم كاحداث معطاة له هي مفتعلة بطرق عديدة، فنفس هذه الاحداث المرئية يمكن ان تحدث، لكن بمعاني مختلفة. وقد نكون مخطئين حول معانيها هذه، وربما نكون مخدوعين من الطبيعة... المهم ان انتصار التجريبية مع العلم هو معرض للخطر مع الحقيقة المدهشة القائلة ان معطياتنا الحسية هي رموز اصلا.

- وكما قلنا قبل قليل ان سوزان لانجر قد بدأت الخطوة الاولى من رؤيتها الذاهبة نحو الترميز ولاشك انها قد ادركت باننا في عصر ثقافي جديد لا يمكن وصفة بشكل اصح من وصفة بعصر الرمزية تقول- هنا وبشكل مفاجيء اصبح واضحا بان عصر العلم قد اوجد موضوع فلسفي جديد، اكثر عمقا من المذهب التجريبي الاصلي: ذلك انه، على طول الميادينlines العقلية الخالصة، تطور

السكون المطلق للرياضيات بشكل رائع وحيوي كأي تقنية تجريبية، و، خطوة بعد خطوة اصبح متماشيا مع الكشف والملاحظة، وازعج مرة اخرى صرح المعرفة الانسانية التي كانت قائمة قبلنا، ليس على انه مجموعة واسعة من تقارير الحس، بل على انه بنية للوقائع التي هي رموز وبنية للقوانين التي هي معاني. المواضيع الفلسفية الجديدة اصبحت هي ما ينص عليها العصر القادم: مثل الموضوعات الابستمولوجية، استيعاب العلم. وكما كانت المعطيات الحسية الحاسمة بمثابة بدء الاشارة لعصر سابق فان قوة المذهب الرمزي هو اشارة للموضوعات الجديدة.

– واوضحت لانجر ان في عصرنا الحالي قد خرجت افكار توليدية جديدة إلى النور وهذا نلحظه مع الابستمولوجيا ومع الاتجاه الواقعي للفكر وقد استعرضت لانجر جرد بعناوين كتب تصب في الموضوع للدلالة على رؤيتها تقول- في الابستمولوجيا.. الافكار المولدة الجديدة قد خرجت للنور. وان لم يعترف بقوتها لحد الان لكن اذا ما نظرنا إلى الاتجاه الواقعي للفكر.. نجد ان انشغال عصرنا قد نمى مع تلك الموضوعات الجديدة بشكل واضح وكبير. وهذا يتطلب منا النظر في عناوين بعض الكتب الفلسفية التي ظهرت ضمن الخمسة عشر أو العشرين سنة السابقة وهي: "معنى المعنى" سي. كي. اوسدن وآي أي ريتشارد (لندن 1923)، "الرمزية والصدق" رالف مونرو آتون (هارفرد 1925)، "فلسفة الصور الرمزية" لارنست كاسيرر (برلين 1923، 1924، 1929)، "اللغة، الصدق والمنطق" أ. ج. آير (لندن 1936)، "الرمز ووجوده في المجتمع" ه. نوك (1936)، "التركيب المنطقي للغة" لرودلف كارناب (لندن 1935- المانيا 1934)، "الفلسفة والتركيب المنطقي" رودلف كارناب (لندن 1935- المانيا 1934)، "المعنى وتغيير المعنى" غوستاف ستيرن (1931)، "الرمزية: معناها وآثارها" أي. أن وايتهيد (نيويورك 1927)، "اسس نظرية العلامات" جارلس. موريس (شيكاغو 1938)،... وحاليا كتاب "اللغة والحقيقة" وهذه القائمة ليست شاملة. هنالك العديد من الكتب التي لم تغرر عناوينها الانشغال بدلالات الالفاظ، عل سبيل المثال "رسالة منطقية فلسفية" لودفج فتجنشتاين (لندن 1939)، أو "مبدأ علم ألجمال لويس كرادين (نيويورك 1930)، وباخذنا جرد للمقالات، حتى في رمزية العلم وحده، سيكون لدينا قريبا جدول هائل من المراجع.

– وتبدا لانجر الان باستخدام مفهوم المفتاح للدلالة على الفكرة الاساسية والتي يبدو انها وصفا لتلك الفكرة التي وسمت عصرنا وهي الرمزية التي لم تجتاح الفلسفة فقط بل حقلين اساسيين في الفكر المعاصر وهما علمي النفس والمنطق المعاصرين تقول– الا ان الفكرة الاساسية(المفتاح) لم تطرق struck الفلسفة فقط. فهنالك حقلان تقنيان محددان –وهما ما قد تبقى لدراسته–، كانا قد تطورا بشكل مفاجيء خارج كل التوقعات، من خلال اكتشافهما اهمية الاستخدام الرمزي أو اهمية القراءة الرمزية. وهذان الحقلان مستقلان عن بعضهما البعض، بحيث ان مشاكلهما ومناهجهما مختلفة وليس لها صلة بمشاكل ومناهج الاخر على الاطلاق، الاول هو علم النفس المعاصر، والثاني هو المنطق المعاصر.

– ومن هنا تبداء لانجر بوصف هذين العلمين وقدرتهما على استخدام الرمزية تقول–مع السابق–أي مع علم النفس– نكون مضطربين– مهزوزين أو ساخطين، وفقا لمزاجنا– بسبب حلول التحليل النفسي. مع اللاحق –أي المنطق– نشهد نشوء تقنية جديدة تعرف بالمنطق الرمزي. توافق هذين النشاطين غير متوقع تماما، احدهما ينبع من الطب والآخر من الرياضيات، وانه ليس هنالك شيء مهما كان يعتمد عليه لمقارنة الملاحظات أو النقاشات. من هنا اعتقد –تقول لانجر–بان كليهما يجسد نفس الفكرة التوليدية، التي شغلت والهمت عصرنا الفلسفي: فمنهجيهما الخاص كل بحقله قد اكتشف قوة الترميز. لكن لكليهما تصورات مختلفة عن الرمزية ووظائفها.

فالمنطق الرمزي ليس بالمعنى الرمزي الفرويدي، وتحليل الاحلام لا يتطلب اسهاما من التركيب المنطقي. التاكيد على الرمزية آت من اهتمامات مختلفة تماما، كل في سياقاته الخاصة. حتى الان، النقد الحذر يعتبر الاول احد تجارب "الفلسفة العقلية" الرائعة، ويعتبر الثاني على انه مجرد نمط fashion للمنطق والابستمولوجيا. –واستخدام لانجر لمفهوم نمط هنا فيه تلميح إلى ما يسمى بالموضة، فاي تحول فكري ناتج عن قدحة أو فكرة مفتاح خلال التاريخ يغدو موضة فكرية كون هذه الفكرة المفتاح أو الاساسية هي توليدية، بمعنى انها تولد جيلا من الافكار مقارب لاسسها وهذا ياخذ مداه كنمط ويسود لفترة لحين حصول قدحات اخرى، أو ولادة افكار جديدة تقول لانجر– لما نتكلم عن انماط fashions في الفكر، فاننا

نعالج الفلسفة بخفة lightly... ان الشيء الاكثر طبيعي ومناسب بالنسبة للمشكلة الجديدة أو المفردات الجديدة هو ان تكون موضة vogue تروج خارج كل شيء اخر لفترة قصيرة. ان الكلمة التي وخزت كل شخص، أو السؤال الذي استفز كل واحد، قد حمل فكرة جديدة- فبذرة اعادة التوجيه الكامل إلى الميتافيزيقا، أو على الاقل ان نقول "افتح يا سمسم" لبعض العلم الوضعي الجديد. جعل الرواج غير المتوقع لهكذا فكرة اساسية (مفتاح) يرجع إلى حقيقة ان كل العقول الحسية والفعالة قد عمدت حالا إلى استخدامها exploiting، فنحن نجربها في كل علاقة connection، في كل نتيجة، أي التجربة بمعناها التام، مع عمومياتها واشتقاقاتها. ولما نتآلف مع الفكرة الجديدة تذهب امالنا باستخدامها الفعلي إلى حد بعيد، وعندئذ يكون رواجها غير المتوازن زائد عن الحاجة. اننا نستقر مع المشاكل التي ولدت فعلا، كونها ستصبح بمثابة قضايا عصرنا المميزة. نشاة التكنولوجيا هي البرهان الافضل على ان تاسيس مفاهيم العلم الفيزيائي، التي حكمت تفكيرنا لما يقرب على القرنين هي ضجة sound بالاساس. لقد اثمرت المعرفة المولدة، العملية، والفهم المنظم، ليس من المدهش انها قد اعطتنا موقف حقيقي ومحدد. واوصلت كل الطبيعة الفيزيائية إلى ايدينا.

-وحاولت لانجر ان تبين بمناسبة الحديث عن العلم الفيزيائي كيف ان الفلاسفة قد وعلماء النفس والاجتماع قد فشلوا في تطبيق المنهج العلمي على حقولهم تقول- ان"العلوم العقلية" حصلت على القليل من تلك المغامرة الكبيرة. حيث حاولت هذه العلوم الواحدة بعد الاخرى تطبيق مفهوم السببية على المنطق وعلم الجمال، أو حتى على علم الاجتماع وعلم النفس لكنها فشلت. فالاسباب والنتائج يمكن ان توجد ويمكن ان تكون مترابطة، مجدولة، مدروسة، لكن حتى علم النفس الذي قد تحمل دراسته للمثيرات وردود الافعال تحمل امتدادات دقيقة يبدو علما غير صحيح. لم تفتح امامنا فرص لانجازات كبيرة في المختبر. اذا ما اتبعنا مناهج العلم الطبيعي في اتجاهاتنا النفسية لنصل إلى الفسيولوجيا، الانسجة، وعلم الوراثة، فنحن نمضي ابعد وابعد من تلك المشاكل التي يجب ان تكون قريبة منا. هذا يدل على ان الفكرة التوليدية التي نشات في الفيزياء والكيمياء وكل ملحقاتهما من- التكنولوجيا، الطب، البيولوجيا- سوف لن تتضمن أي مفهوم فعال للعلوم

الانسانية. ان اجيالا من علماء النفس، الابستمولوجيين، وعلماء الجمال، قد حذوا حذو مشروع عالم الفيزياء وبامانة لكنه على الارجح قد عرقل تطورهم،... وهذا لا يعني ان مشروع عالم الفيزياء على خطأ -فهو معقول تماما- الا انه لا يفيد في دراسة الظواهر العقلية. فهو لم يولد اسئلة ايحائية ومستفزة للمخيلة الاستنتاجية، كما هو الحال مع الابحاث الفيزيائية.

- وتعود بنا لانجر بعد تلك اللمحة إلى امكانية تطبيق المنهج العلمي على العلوم الانسانية تعود بنا إلى الرمز لتصرح بشكل واضح عن ما يلاءم العلوم العقلية قائلة- في تلك الحقول التي تهم الانسان، اصبح الانشغال بالرموز هو النمط، ولم يصدر هذا النمط من شريعة العلم مباشرة. وهو-أي هذا النمط- يدير مسارين متعارضين ومتميزين، كل مسار هو بمثابة دفق للحياة في مجاله الخاص، وثمرات كل منهما هو نتاج الحصاد الخاص بحقليهما، انا ارى بهذا-تقول لانجر- وعد بالقدرة والبراعة، وتحكم بالمشكلة الفلسفية. بحيث ادى تصور الحقل الاول للرمزية إلى المنطق، مواجها المشاكل الجديدة في نظرية المعرفة، وموحيا بتطور العلم والتماس اليقينية. اما الحقل الاخر فأخذنا باتجاه مضاد- إلى الطب النفسي، حيث دراسة المشاعر، الدين، الخيال، أي شيء سوى المعرفة. اذن لدينا موضوعا مركزيا مع الاثنين: ردة فعل الانسان، هي شيء ايجابي وليس سلبي. وقد وافق الابستمولوجيون وعلماء النفس على ان الترميز هو مفتاح لتلك العملية الاستنتاجية(الايجابية)، بالرغم من انه قد يسقط احدهما الاخر حول قضية ما هو الرمز وكيف تعمل وظائفه. ان دراسات الاول -أي المنطق- تدور حول تركيب العلم، اما الثاني -أي علم النفس- فتدور حول الاحلام. ويمتلك كل منهما افتراضات خاصة به.. فيما يتعلق بطبيعة الترميز ذاتها. ان صراعنا ينشا حول الافتراضات، والافكار المولدة.

وفي الختام -تقول لانجر- نقول ان قناعتنا عادة ما نفسرها بوسائل سلمية. حتى الان الافتراضات هي ادواتنا الفلسفية الاكثر امتاعا. ان فكرة الترميز الاساسية - الصوفية، العملية أو الرياضية...- هي اننا نمتلك الفكرة الاساسية (المفتاح) لكل المشاكل الانسانية. في هذا يكمن التصور الجديد "للعبقرية" التي تضيء اسئلة الحياة والوعي، بدلا من التعتيم عليها كما فعلت المناهج العلمية التقليدية. اذا ما انجبت

الفكرة المولدة حقا مناهج ملموسة خاصة بها، لتحريرها من التناقضات التي ادت بها إلى طريق مسدود مثل الروح والجسد، السبب والدافع والاثر، الاستقلال والقانون، فسوف تتغلب على الحجج المهزومة في عصر سابق بنبذ اصطلاحاتها وصياغة مرادفاتها بعبارات ذات مغزى. ان الدراسة الفلسفية للرموز ليست تقنية مستعارة من الانظمة الاخرى ولا حتى من الرياضيات، كونها نشات في الميادين التي حققت تقدما كبيرا للعلم. واننا ربما نستوعب الحصاد الثقافي الجديد، من اجل جنيه في فصول اخرى من الفهم الانساني.

-وهكذا نكون قد توصلنا إلى رؤية لانجر حول الافق أو ما اسمته النمط الثقافي لعصرنا الحالي الا وهو الرمزية والتي جسدها بشكل مثير للاهتمام، الدراسات الفلسفية ولاسيما فرعها المنطق الرمزي وعلم النفس المعاصر فمفتاح الفلسفة الجديد اذن هو الرمز-.